ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Dr.Laith Saadoon Koh

Directorate of Education . Wasit Governorate

Email: : Zot9247@gmail.com

Keywords:

Apology, pragmatics, presupposition, dialogic implication, direct and indirect speech acts.

A r t i c l e i n f o

Article history:

Received 28.OCT.2023

Accepted 12.DEC.2023

Published 10.FEB.2024

Apology in the Holy Quran "Pragmatic study"

A B S T R A C T

This study aims to study the literature of apology and its various forms in the contexts of the Holy Qur'an, a pragmatic study. Due to the lack of studies that highlighted this sublime landmark, they were in a simplified form, showing the resources of meaning intended by the verses of the Holy Qur'an for the meanings of apology in new pragmatic patterns. The study attempted to reveal the meanings of these verses and shed light on the aspect of apology. The researcher was able to prove this aspect pragmatically, and he He investigated three main axes and detailed the discussion on them, including conversational obligation, presupposition, and direct and indirect speech acts.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol54.Iss1.3718

الاعتذار في القرآن الكريم

" دراسة تداولية "

م.د. ليث سعدون كوّه

وزارة التربية / مديرية تربية محافظة واسط

ملخص البحث :

تهدف هذه الدراسة إلى دراسة أدب الاعتذار وصيغه المتعددة في سياقات القرآن الكريم دراسة تداولية ؛ لقلة الدراسات التي أبرزت هذا المعْلم السامي، وكانت بشكل مبسّط، مبيناً موارد المعنى التي قصدتها آيات القرآن الكريم لمعاني الاعتذار بأنماط تداولية جديدة، وحاولت الدراسة الكشف عن دلالات هذهِ الآيات، وتسليط الضوء على جانب الاعتذار، وقد استطاع الباحث من إثبات هذا الجانب تداولياً ، وقد تحقق في ثلاثة محاور رئيسة ، فصّل الحديث فيها ، ومنها الاستلزام الحواري ، والافتراض المسبق والأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة .

الكلمات المفتاحية : الاعتذار، التداولية ، الافتراض المسبق، الاستلزام الحواري، الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة .

المقدمة

أمّا بعدُ : لقد جذب البحثُ التداولي الاهتمام إليه ؛ لأنّه نجحَ بفتح آفاق أوسع في دراسة اللغة ، فاهتمت التداولية بالسياق والمقام والمتكلمين ومقاصدهم ، وقدرات المتلقين على الاستيعاب وكفاءاتهم التواصلية ، فتعددت ؛ لذلك الخطابات المعرفية التي شملت البحث التداولي ، وتنوعت تبعاً للأغراض والمقاصد التواصلية التي صيغت لأجلها ؛ وبينت ميلنا للدراسات القرآنية .

جاءت الدراسة في أدب الاعتذار وصيغه المتعددة في سياقات القرآن الكريم دراسة تداولية ؛ لقلة الدراسات التي أبرزت معالمَ هذا الخلق السامي ، ووجوبه لكلّ مسلم جادٍ في بناء أخلاقه ، بشكل مبسط مبيناً موارد المعنى التي قصدتها آيات من القرآن الكريم لمعاني الاعتذار ، فجاءت الدراسة بأنماط تداولية جديدة ، فمرة بافتراض مسبق وهو مفهوم تداولي ، إذ يوجه المتكلم حديثه إلى السامع على أساس وجود معطيات وافتراضات سابقة سلفاً ومتفق عليها ، ومرة بالاستلزام الحواري وتحدثت فيه عمّا يريد المتكلم ايصاله إلى المتلقي بطريقة غير مباشرة ، أو بالتلويح إلى المعنى المراد على وفق مبدأ التعاون ، ومرة بالأفعال الكلامية المباشرة : وهي أفعال تتطابق قوتها الإنجازية مع مراد المتكلم ، فيكون معنى ما ينطقه مطابقاً لما يريد أنْ يقولهُ ، والأفعال الكلامية غير المباشرة : هو أنْ ينقل المتحدث إلى المستمع أكثر ممَّا تحمله الكلمات من معنى ويرجع ذلك إلى الخلفية المشتركة بينهما سواءٌ لغويَّة أم غير لغويّة اعتماداً على قدرة المستمع ، وقد تمَّ الاستفادة من بعض الدراسات التي تناولت الاعتذار منها :

الاعتذار في القرآن الكريم دراسة موضوعية تأليف : أريج بنت إبراهيم الخميس ، نشر دار الذخائر للنشر والتوزيع ، وكذلك الاعتذار في القرآن الكريم دراسة موضوعية تأليف: عبيدات ، فادى عبد الله محمود .

وختاماً فإنّي أضع هذا البحث بين أيدي نخبة من الأستاذة العلماء ، أتوسم فيهم أنْ يجودوا عليَّ بفيض علمهم ، فيقوموا ما فاتني ، ويسدوا منافذ الخلل فيه ، وآخر دعوانا أنْ الحمد لله ربِّ العالمين ..

الاعتذار لغة :

العين و الذال و الراء بناءٌ صحيح له فروعٌ كثيرة ، ما جعَلَ الله تعالى فيه وجهَ قياسٍ بَتَّةً ، بل كلُّ كلمةٍ منها على نَحوِها و جِهَتها مفردة .

فالعُذْر معروف، وهو رَوْم الإنسان إصلاحَ ما أُنكِرَ عليه بكلام ، يُقال منه: عَذَرْتُه فأنا أَعْذِرُه عَذْراً، والاسم العُذْر. وتقول: عَذَرْتُه من فلان، أي لُمْتُه ولم أَلُم هذا ... ، وتقول: اعتذرُ يَعتذِرُ اعتذاراً وعِذْرة من ذنبه فعذرْتهُ . والمعْذِرة الأسم ، قال تعالى : " قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ " [الأعراف : ١٦٤] .

وعذَر فلانٌ إذا أبْلَى عُذْراً فلم يُلَمْ (ابن فارس ، ٢٠٠٢ ، ص٢٥٣)

جاء في لسان العرب : " العُذْر: الحجة التي يُعْتَذر بها؛ والجمع أَعذارٌ.. اعْتَذَرَ الرجل إذا أَتى بُعْذرٍ ، واعْتَذَرَ إذا لم يأت بُعَذرٍ" (ابن منظور، ١٩٩٧،ص٢٨٤)

الاعتذار اصطلاحاً :

ولا يختلف المعنى الاصطلاحي للاعتذار عن المعنى اللغوي ، إلّا أنّ السيّد المرتضى عرّفه بأنّه: إظهار الندم على الإساءة إلى الناس (صاعد الأبي ،١٩٧٠،ص٣٦٢) .

المبحث الأول :

الاستلزام الحواري :

هو أحد فروع المجالات اللسانية التداولية التي عُني بها " بول غرايس " حينما ألقى محاضراته في جامعة " هارفارد " سنة (١٩٦٧) منطلقاً مِنْ فكرة " **إنَّ النّاس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون ، وقد يقصدون أكثر ممَّا يقولون ، وقد عكس ما يقولون ، فأراد أنْ يقيمَ بين ما يحمله القول من معنى صريح ، وما يحمله القول من معنى متضمن ممَّا نشأ عنه فكرة الاستلزام الحواري**"(الصراف ، ٢٠١٠ ، ص٩) ، يراد من الاستلزام الحواري الوقوف على متضمنات القول غير المصرّح بها ، وكيف يمكن للمتلقي أنْ يبسطَ المعنى المقصود ؟ وهذا من مستلزمات الحوار ؛ لذلك " **فالاستلزام الحواري يعدُّ واحداً من أهم الجوانب في الدرس التداولي ، فهو ألصقها بطبيعة البحث فيه ، وأبعدها عن الالتباس بمجالات الدرس الدلالي ... خلافاً لكثير من موضوعات البحث التداولي**" (نحلة،٢٠٠٢، ص٣٢) ، ويبدو هذا المصطلح أطلقه الفيلسوف الأمريكي "بول غرايس " على ظاهرة الفعل اللغوي غير المباشر التي أبدى لها اهتماماً في محاضراته وأبدت تميزاً مختلفاً غيرها في هذا الموضوع (ذياب،٢٠١٦،ص٧٠) ، وأصبح الاستلزام الحواري ظاهرة أو وسيلة مهمة من وسائل الاتصال اللغوي ويمكن القول: " **الاستلزام الحواري هو ابن اللغة الحية المستعملة ، ولا يمكن الوصول إليه إلّا عن طريق استحضار البيئة التي ولد فيها ، والمقصد من أجله على هذهِ الصورة أو الوظيفة التي استعملت من أجلها اللغة** " (كنون،٢٠١٥،ص٢١٤)، والظاهر أنّ العبارات اللغويّة متخفية وراء ملفوظات توحي محادثة أو صفة متعلقة بها دون أنْ نذكرها ، وتقوم نظريّة غرايس في الاستلزام التخاطبي على النظر إلى استعمال اللّغة بوصفها ضرباً من الفاعلية العقلية التي تستهدف تحقيق الاتصالين بين النّاس وهذا الاتصال محكوم بمبدأ التعاون الذي قوامه أربع مقولات (عبد الرحمن،٢٠٠٠،ص١٠٣-١٠٤) ، التي تعطي انطباعاً واضحاً عن مرادات فهم مراد المتكلم ؛ لذلك فالرأي عند "غرايس " : إنّ مقاصد المتكلمين سابقة أسبقية تحليلية على معنى الجملة ، وهذا يعني أنَّ المعنى اللغوي يمكن تحليله في حدود مقاصد المتكلمين التي يعبّر عنها باللغة ، السياق له الأثر الرئيس في تحديد مرامي المعنى أو الهدف المنشود ، وممّا كان يشغل غرايس هو كيف ممكناً أنْ يقولَ : المتكلم شيئاً ، ويعني به ويفهم شيئاً آخر ، وقد وجد حلاً لهذه الأشكال ، فيما أسماه مبدأ التعاون بين المتكلم والمخاطب ، وهو مبدأ حواري عام يشمل على مبادئ فرعية وتشمل :

- مبدأ الكم (Quantity) :

أجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون أنْ تزيد عليه أو تنقص منه .

- مبدأ الكيف (Quality) :

لا تقل ما تعتقد أنّه غير صحيح ، ولا تقلْ ما ليس عندك دليل عليه .

- مبدأ المناسبة (Telerance) :

أجعل كلامك ذا علاقة مناسبة للموضوع .

- مبدأ الطريقة :

كن واضحاً ومحدداً فتجنب الغموض وتجنب اللبس وأوجز ورتّب كلامك(نحلة،٢٠٠٢،ص٣٤).

يتضح أنَّ هذهِ المبادئ تتحقق بالتعاون بين المتكلم والمخاطب وصولاً إلى حوار ناجح لهذا التواعد ، والتعاون من وجهة نظر " غرايس " تتمثل في خط الحوار إذ يؤكد على أنَّ احترام القواعد فضلاً عن المبدأ العام ، هو الطريق الذي يجعلنا بلوغ مقاصدنا، إذ يقضي الخروج عنها – أو عن أحدهما – إلى اختلاف العملية ، والمحاورة ينتج عنها انتقال كلام المخاطب من معناه الظاهر إلى المعنى المتضمن الذي يقضيه المقام (العياشي ،٢٠١١،ص١٠٠-١٠١) .

يمكن القول : إنّ الاستلزام الحواري عند غرايس يمثل نظريّة متكاملة حاول الباحثون إيضاحها بأمثلة كثيرة ممّا قدّمت ، كما حاولوا تطويرها ، استكمال جوانب النقص والقصور فيها (نحلة ،٢٠٠٢،ص٤) .

ومِنَ الأمثلة التطبيقية :

قوله تعالى: " يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ..."(سورة التوبة ، ٩٤) .

يدلُّ سياق الآية " **على أنّها نزلت أثناء عودة جيش المسلمين من غزوة تبوك ، إذ أخبرهم الله سبحانه وتعالى ، أنّهم حين يصلون إلى المدينة يستقبلهم المنافقون معتذرين عن تخلفهم ، وقعودهم ... أنّهم يعتذرون ، ولكن بالكواذبِ والأباطيلِ ؛ لذا قال الله لنبيه: (قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ) وهذا نهي منه تعالى أنْ يقولوا لهم لا أصدقكم في شيء ، ممّا تعتذرون ؛ لأنَّ الله قد أوحى إليَّ بما تخفى صدوركم من الشرّ والنفاقِ (وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ) ، أي لا تقبل اعتذاركم حتى تثبتوا – فيما سيأتي – بالأفعال لا بالأقوال ...** " (مغنية،٢٠٠٧،ص٨٩) .

يكشف النص القرآني عن وحدة حوارية لها نصيبها من الإطناب الذي يعدُّ وسيلة من وسائل إثراء المعنى ، وجعله واضحاً للمتلقي ، وفي الحوار استلزامٌ ، فالخطاب تجاوز الفائدة من الكلام ؛ لأنَّ الكلام أصبح مفهوماً عند المخاطب في صيغة النهي في قوله تعالى : **(لا تَعْتَذِرُوا)** ، أي لا يقبل منكم الإعتذار ، والزيادة في اللفظ هو إثبات الدليل وكشف ما في الباطن من الكواذب والأباطيل ، وزيادة في توضيح المعنى جاء في قوله تعالى : **(لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ..)** إذاً الحوار جسد خرقاً لنظرية " غرايس " نظرية الكم ، والذي يعدُّ مخالفاً لمبدأ التعاون ، إذ تجاوز قدر الفائدة من الكلام ، والرؤيا تتضح لنا ، بأنَّ المتكلم أراد أنْ ينقلَ المعاني من ألفاظها إلى المتلقي مثلما هي مرتَّبة في ذهن المتكلم حسب أهميتها عنده(لاشين،٢٠١٢،ص١٩٤) .

ومَن الأمثلة الأخرى قوله تعالى : " **لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ**" (التوبة : ٦٦) .

جاء في البحر المحيط : " **نهوا عن الإعتذار ؛ لأنّها اعتذارات كاذبة فهي لا تنفع ، قد كفرتم ، وأظهرتم الكفرَ بعد ايمانكم ؛ لأنّهم يسرُّون الكفرَ ، فأظهره باستهزائهم** " (أبو حيان،٢٠٠٥م،ص٤٥٤) .

الاعتذار في النص الكريم جاء على سبيل الاستهزاء أرادوا به السفه والغي وهذهِ الصورة تحمل في تضاعيفها الأكاذيب والأباطيل ، ويظهرون خلاف ما يبطنون ، وهذا الأسلوب لا يعدُّ غريباً على الأنبياء والرسل أنْ يسمعوا لهذا الحديث الذي يخالف أحد مبادئ التعاون عند " غرايس " مبدأ (الكيف) ، والذي ينص على " لا تقل ما تعتقد أنّه غير صحيح ، ولا تقلْ ما ليس عندك دليل عليه" (نحلة،٢٠٠٢ ،٣٤) ؛ لأنَّ كلام المنافقين مخالف للحقيقة .

المبحث الثاني :

الافتراض المسبق

الأفتراض المسبق: هو مفهوم تداولي، يوجّه المتكلم حديثه فيه إلى السامع على أساس هناك معطيات ، وافتراضات سابقة معروفة سلفاً ، وقد لوحظ أنَّ الافتراض المسبق يترابط بعبارات لغويّة دون بعضها ؛ فإذا قال رجل لآخر : أغلقْ النافذة ، الافتراض المسبق النافذة مفتوحة ، وأنّ هناك مبرراً يدعو إلى إغلاقها ، والمخاطب قادر على الحركة ، والمتكلم في منزلة الآمر، وكلّ ذلك موصولا بسياق الحال، والبنى التركيبية ، وعلاقة المتكلم بالسامع مِنْ أجل ذلك كانت دراسة الافتراض المسبق تأخذ اهتماماً كبيراً من اهتمام الباحثين ، منذ أوائل العقد السابع من القرن العشرين ؛ لأنّها شغلت جانباً أساسياً من اهتمام علماء الدلالة ؛ لذلك أصبحت الوجه التداولي في دراسة المعنى بديلاً لا غنى عنه للوجهة الدلالية في هذا المضمار في أوائل العقد الثامن (نحلة،٢٠٠٢،ص٢٦-٢٧) .

إنَّ الافتراض المسبق هو تواصل لساني على خلفية افتراضات معروفة سلفاً لدى المتكلم والسامع ، وعليه يكون الافتراض المسبق من المبادئ في كلِّ حوار، أو عملية تواصل حتى أنّه لا يمكن تقديم أي معلومة على سبيل التعلم، إلّا والافتراض المسبق يدلُّ على وجود معلومة سابقة ينطلق منها عملية التعلم(صحراوي،٢٠٠٥،ص٣٢) .

لذلك لا يمكن الاستغناء عن الافتراض المسبق في أي تواصل ؛ لأنّه يسير بصيغة متسلسلة غير منطقية " **فباحتوائه على معطيات يعرفها من المتكلم والمخاطب لا يعني إلغاء أهميته ، أو نفيه ، ولكن يعدُّ القاعدة الأساس التي يرتكز عليها الخطاب في تماسكهِ العضوي**" (حمو الحاج،٢٠١٢،ص١٩٦) .

يسعى الخطاب عن طريق وظائفهِ التقابلية ، والتفاعلية إلى التعبير عن مقاصد وغايات ، وتحقيق أهداف معينة ، ومن ذلك يكون للخطاب مقاصد معينة ، الافتراضات المسبقة يدركها المتكلم ، أو يفترض وجودها ، أو يبني لغته عليها ؛ ليستدل على المقاصد عن طريقها (تغزاوي،٢٠١٤،ص٣)، ويقسم التداوليون الافتراض المسبق على افتراض مسبق عام ، ومستعمل في الحياة اليومية كقولنا : (كتب زيدٌ رسالة إلى عمر) ، فالافتراض المسبق (أنَّ عمراً يقرأ) وكذلك إذا قيل : (إمّا أنْ يكافأ زيدٌ ، وإمّا أنْ تكافأ زوجته) فالمفترض السابق لدى السامع أنّ لزيدٍ زوجة ، وأمّا التعريف الاصطلاحي : الذي هو أضيق مدى من الاستعمال العام ، فهو مقيد باستدلالات تداولية بعينها ، تحملها تعبيرات لغويّة خاصة يمكن الوصول إليها ببعض الإختبارات اللغويّة (نحلة،٢٠٠٢،ص٢٧-٢٨) الافتراض المسبق له ألفاظ لغويّة بعينها يريد المتكلم أنْ يبلغه السامع اعتماداً على أنّ السامعَ قادرٌ أنْ يصلَ إلى مراد المتكلم بما يمتلكه من وسائل واستدلالات ، وقد ورد (الاعتذار) في النصوص القرآنية ، ويحمل منحى تداولي (الافتراضات السابقة) كقوله تعالى : " **يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**" **(سورة غافل : ٥٢)** ، وأشار الألوسي (١٢٧٠ت) في تفسير النص السابق ذكره " **على معنى أنّهم يعتذرون ، ولا ينفع معذرتهم لبطلانها ، تحتمل أنْ تكون لنفي النفع ، والمقدرة على معنى لا تنفع معذرة ، الكشاف : يحتمل أنهم يعتذرون بحضوره ، لكنّها لا تنفع لأنّها باطلةٌ ، وأنّهم جاؤوا بمعذرة لم تكن مقبولة** " (الألوسي،٢٠٠٩ ،٣٣٠) ،يتضح من النص إنّ هناك افتراضاً مسبقاً يعتمد على خلفية افتراضات معروفة سلفاً لدى المتكلم والسامع ، أي وجود معلومة سابقة ، بأنّهم اقترفوا ذنباً ومعصية ، والإنسان ما فعل ، وما ترك ، ولا يحتاج إلى مَنْ يخبره بذلك ، يعلم حتى لو حاول أن ينتقلَ ويعتذرَ ، فالإعتذار جاء على افتراض مسبق أنّهم مذنبون ، ولا معذرة تنفع العصاة ؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى قطع عليهم جميع الأعذار ، والسعيد من استغنى عن الاعتذار ، وقد استعمل في النص القرآني لمعنى متضمن أظهره السياق ، ويذكر " **الافتراض المسبق ينطلق من مبدأ المشاركة في كلِّ تواصلٍ من معطيات وافتراضات معترف بها ، ومتفق عليها بينهم ، وتشكل هذهِ الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل**"(صحراوي،٢٠٠٥،ص٣٠-٣١) ، وأيضاً قوله تعالى : " **وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ**

مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ" (الأعراف:الآية١٦٤) ، وجاء في تفسير البحر المحيط : " **وروي أنّهم كانوا فرقتين فرقة عصت ، وفرقة نهت ، ووعظت ، وأنّ جماعة من العاصية قالت للواعظة على سبيل الاستهزاء (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ...) قد علمتم أنتم أنَّ (اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ ...) إنّما قالت ذلك إذ علموا أنّ الوعظ لا ينفع فيهم لكثرة تكرره عليهم ، وعدم قبولهم له ، ويحتمل أنْ يكون فرقيين عاصية وطائفة ، وأنّ الطائفة قال بعضهم لبعض لما رأوا أنّ العاصية لا يجدي فيها الوعظ ، ولا يؤثر شيئاً : (لِمَ تَعِظُونَ ...)وقرأ الجمهور (مَعْذِرَةٌ) بالرفع ، أي موعظة اقامة عذر إلى الله ، لئلا تنسب في النهي عن المنكر إلى بعض التفريط ولطمعنا في أنْ يتقوا عن المعاصي** " (أبو حيان،٢٠٠٥،ص٢٠٧-٢٠٨) ، إنّ الافتراضات السابقة تبنى دائماً على العلاقة بين المتحدث والسامع عن طريق التحليل والفهم ، من تحليل النص نجد أنّ هناك افتراضاً مسبقاً بأنّ كلام الفرقة العاصية عليه استهزاء **(لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ ...)** وافتراضاً مسبقاً آخر أنّ الفرقة الواعظة تعلم أنّ الوعظ لا ينفع لكثرة تكراره عليهم ، وعدم قبولهم له والنتيجة هو الاعتذار إلى سبحانه وتعالى ، من هذا يترسخ حقيقة بأنَّ " **الافتراض المسبق هو شيء يفترضه المتكلم يسبق التفوه بالكلام ، أي أنَّ الافتراض موجود عند المتكلمين وليس في الجمل**"(يول،٢٠١٠،ص٥١،ص١٠٨)

المبحث الثالث:

الأفعال الكلامية

تعدُّ نظرية أفعال الكلام أساس البنية النظرية للتداولية الحديثة ، وتنطلق هذهِ النظرية من مقوله " مالينوفسكي " بانَّ اللغةَ " **وسيلةٌ من وسائل النقل ، وليست أداة للتأمل ، ومن هذهِ الوظيفة اللغويّة ظهرت أفعال الكلام على يد الفيلسوف الانجليزي " جون لانجشو أوستن** " " (ردة الله ، ١٢٢٤هـ،ص٢٢٣) ، مفهوم الفعل الكلامي ، لا يتضح إلّا بالرجوع إلى مفاهيم هذهِ النظريّة التي ظهرت تجاوزاً لـ " **مفهوم الوصف المسند في الغالب للغة والذي أقصى كثيراً من العبارات المستعملة بحجة عدم خضوعها لمعيار الصدق والكذب** " (رحيمه شيتر،٢٠٠٨،ص١٤٨) .

إنَّ هذا التجاوز ظهر مع دراسات الفيلسوف اللغوي " أوستن " الذي يعدُّ مؤسس نظرية الأفعال الكلامية ، وأوضح المصطلح الذي تعرف به إلى الآن في الفلسفة في المحاضرات اللسانية المعاصرة ، وذلك في المحاضرات في اكسفورد " oxford " في العقد الثالث من القرن العشرين ، ثم محاضراته الأثنتا عشرة التي ألقاها في جامعة " Harford " هارفارد سنة (١٩٥٥) ، ونشرت بعد موتهِ (١٩٦٢) بعنوان كيف نفعل الأشياء بالكلمات (نحلة،٢٠٠٢،ص٦١) ، وأرسى المعنى هو الاستعمال (نحلة،٢٠٠٢،ص٦١) ، ويظهر ممّا قيل " إنَّ لأوستن الفضل والريادة في اكتشاف نظرية الأفعال الكلامية عند الغربيين ، ولقد طوّرها من بعدهِ تلميذه " سيرل " بأعطائها صيغتها النموذجية النهائية ؛ لتصبح الدعامة الكبرى في الدرس التداولي ، وأساس دراستها ؛ إذ قال " فان دايك " : وغني عن القول إنَّ تحليلاً سليماً لأفعال الكلام هو الغرض الرئيسي للتداولية أفعال الكلام ؛ لأنّه لا يمكن أنْ يتم بغير فهم مسبق لمعنى الفعل أو التصرف (قنيني،٢٠١٣،ص٢٢٧) ، ويمكن القول : إنَّ نظرية أفعال الكلام تدرس الأفعال التي تعبّر عن فعل ولا يحكم عليها بصدق أو كذب ، وقد لا تصف شيئاً من وقائع العالم الخارجي ، وليس من الضروري أنْ تعبّرَ عن حقيقة واقعية ، فهي تهدف إلى إرساء قواعد أفعال الكلام من الأنماط المجردة أو الأصناف التي تمثل الأفعال المحسوسة الشخصية التي تنجز أثناء الكلام (صحراوي،٢٠٠٥،ص٣٦) ، فالمتكلم عندما يتحدث يخبر عن شيء ، أو يصرّح بشيء ، أو يأمر ، أو ينهي ، أو يلتمس ، أو يعد ، أو يشكر (أرمينكو،١٩٨٧،ص٧٢) ، ويتجلى أنّ نظرية أفعال تقوم على مبدأ أنَّ " **الاستعمال اللغويّ ليس إبراز منطوق لغوي فقط ، بل إنجاز حدث اجتماعي معين أيضاً في الوقت نفسه** " (بوجادي،٢٠٠٩،ص٨٩) ، فالفعل تراجع يدل على أنّ اللغة تستعمل لإنجاز أفعال " **أي أنَّ الإنسان المتكلم ما وهو يستعمل اللغة لا ينسخ كلماته دالة على**

معنى، بل يقوم بفعل ما ويمارس تأثيراً " (نوري سعودي،٢٠٠٩،ص٢٦-٢٧) ، وله أثرٌ في عملية التواصل ، ويحاور المتكلم " **على نحو معين أنْ يؤثرَ في المتلقي ، ولمّا كانت هذهِ الرغبة في التأثير تمثل نشاطاً موجهاً إلى هدف ، فقد حدَّد بشكل أدق بأنّها فعل لغوي** " (برينكر،٢٠١٠،ص١٢٣)، وفي تعريف آخر " **الكلام هو أداء للأصوات في القوانين ، وبهذا يمكن أنْ تتضح عملية التخاطب، وكذلك التكامل المصطلحاتي في بناء الخطاب التواصلي**" .

(الساسي،٢٠٠٧،ص٢٧)

الأفعال الكلامية المباشرة :

الأفعال الكلامية المباشرة تتولد عندما تتطابق قوتها الإنجازية مع مراد المتكلم فيكون معنى ما ينطقه مطابقاً مطابقة تامة وحرفية لما يريد أنْ يقوله (نحلة،٢٠٠٢،ص٨٠) ، ومن التعريفات الأخرى للأفعال الكلامية المباشرة الصريحة " **ما وضع اللفظ فيدل عليه المطابقة أو التضمين حقيقةً أو مجازاً** " (الحنبلي،١٩٩٧،ص٤٧٣،٣٤٠) ، أي اللفظ يدل على المعنى الصريح ولا يحتاج إلى نظر واجتهاد ، والكلام الصريح يشتمل على نوعين من الدلالة الأولى : المطابقة ، وهي دلالة اللفظ على مطابقة ما يوضع له ، وكذلك لعدم زيادة المعنى على اللفظ ولا اللفظ على المعنى ، ومن ذلك دلالة لفظ الحيوان على الإنسان الناطق ، والثانية دلالة التضمين : وهي دلالة اللفظ على جزء المعنى في ضمنه في دلالته على الحيوان الناطق في الحيوان الناطق (الحنبلي،١٩٩٧،ص٤٧٣) ، ومن الأمثلة الواردة في القرآن الكريم بصيغة الاعتذار ، قوله تعالى : " **فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ**" (الروم:٥٧) .

جاء في تفسير الكاشف : " **المعنى لا عذرَ وإقالة لمجرم في ذلك اليوم بعد أنْ حُذِّرَ وأنذر ، نأبى إلا كنوراً** "
(مغنية،٢٠٠٧،ص١٥٤) .

بنية الفعل الكلامي :

- **فعل كلامي مباشر** ، وهو الإخبار ، والخطاب الصحيح المباشر تتضمن هذهِ الآية أفعال كلامية معبّرة عن معاني متقاربة دلالياً هي : (لا تنفع ، ولا هم يستعتبون) .

- **فعل دلالي** : قضيته تتمثل في المعنى أنّه لا عذرَ وإقالة لمجرم في ذلك اليوم بعد أنْ حُذِّرَ ، وأمر ، وأنذرَ ، فأبى إلّا كفوراً .

- **فعل إنجازي** : يتمثل في الجملة الخبرية التي تمثل حمولاتها الدلالية قوة إنجازية هي ، والنفي وإنكار في قبول أي عذرٍ أو جمةٍ .

- **تعديل القوة الإنجازية** : نجد في السياق يستعمل وسائل لغوية مؤثرة هي اسم الموصول (الذين) ، وإحدى أدوات الربط العطف (الواو) .

الأفعال الكلامية غير المباشرة :

الأفعال الكلامية غير المباشرة: هو أنْ ينقل المتحدث إلى المستمع أكثر ممّا تحمله الكلمات ، وذلك يخضع إلى الخلفية المعرفية المشتركة بينهما سواءً أكانت لغوية أم غير لغويّة ؟ اعتماداً على قدرة المستمع وعلى الاستنتاج والتحليل ، ويفهم من الأفعال الكلامية غير المباشرة أنْ يظهر المتحدثُ معنى يحمل معنى إضافياً آخراً (علي عزت،٢٠١٢،ص٥٢) ، ومثال على ذلك قوله تعالى: " **وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** " (التوبة : ٩٠) .

وذكر صاحب تفسير روح المعاني " **والمعذرون من عذرَ في الأمر إذا قصّر فيه ، وتوانى ، ولم يجدْ ، وحقيقة أنْ يوهم له عذراً فيما يفعل ولا عذرَ له ، وروي ذلك عن " ابن عباس رضي الله تعالى عنهما " ، فهو من أعذر إذ كان له عذر ، وعن " مسلمة " أنّه قرأ (المعذرون) بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر**" (الألوسي،٢٠٠٩،ص٣٤٤-٣٤٥) .

- **بنية الفعل الكلامي :**

- تضمنت هذه الآية مجموعة أفعال كلامية غير مباشرة دلّت عليها الصيغة الخبريّة (يُؤْذَنَ لَهُمْ ، قَعَدَ ، كَذَبُوا ، سَيُصِيبُ ، كَفَرُوا) معبّرة عن معاني غير مباشرة .

- **فعل دلالي** : هو الاعتذار على عدم الالتحاق بالرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في إحدى معاركه نصرة إلى الله عزّ وجل ...

- **الاقتضاء** : عدم التقاعس والتهاون في نصرة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على الأعداء .

- **فعل إنجازي غير مباشر** (الاعتذار) .

- **تعديل القوة الإنجازيّة :**

استعمل بعض المؤثرات اللغويّة التي تتمثل في الأفعال الماضية والمضارعة ، قد أفادت حدوث الفعل وتقيده بزمن الحدوث ، وكذلك استعمال الاسم الموصول (الذين) وصلته الذي له الأثر الأكبر في الإحالة على المعذرين (الكفار) .

الخاتمة

- الاعتذار : هو حصانة قوية للابتعاد عن الخطأ ، وعدم المبالات بمشاعر الآخرين؛ لذلك مطلب ملح لالتئام الصف ، ودوام الوحدة وصلاح المجتمعات .

- الاعتذار رمز من رموز الثقافة الإسلامية ، فهو السبيل لصهر الخلافات ، والتئام الجراحات المتفشية في أوساطنا حتى يكون خلقاً يحتذى به من غير إجبار أو تكلف .

- هناك جملة من الآيات القرآنية في كتاب الله عزَّ وجل وردت كلمة (الاعتذار) مشتقة بصيغ متعددة .

- أغلب الآيات التي ورد فيها الاعتذار في كتاب الله عزَّ وجل تتحدث عن التقصير في حقِّ اللهِ عزَ وجل ، وبالتالي تتحدث عن الاعتذار بإظهار التوبة والندم والاستغفار.

- نطمح أنْ يكون البحث إسهامة جديدة وتأكيداً لإمكانية تطبيق المنهج التداولي على النصوص القرآنية .

- متضمنات القول (الافتراض المسبق والاستلزام الحواري) ، أفعال الكلام المباشرة وغير المباشرة كان لها الأثر في تقريب معنى (الاعتذار) في سياق الآيات القرآنية المختلفة .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

- إبراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ، محمد علي النجار ، (د.ت) ، المعجم الوسيط ، الجزء الثاني ، دار الدعوة ، مؤسسة ثقافية للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع ، تركيا ، (د.ط) .
- ابن فارس ، أبو الحسين أحمد ، (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢) ، مقاييس اللغة ، الجزء الرابع ، تحقيق وضبط : عبد السلام هارون ، طبعة اتحاد الكتاب العربي، (د.ط) .
- ابن منظور ، الإمام العلاّمة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري ، لسان العرب ، (١٩٩٧) ، دار صادر بيروت ، المجلد الرابع ، ط١ .
- أبو حيان الأندلسي الغرناطي ، محمد بن يوسف ، (١٤٢٩هـ-٢٠٠٥) ،(د.ت) ، البحر المحيط في التفسير ، الجزء الخامس ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، (د.ط) .
- أبو زيد ، نوري سعودي ، (٢٠٠٩) ، في تداولية الخطاب الأدبي ، بيت الحكمة ، سطيف الجزائر ، ط١ .
- الأبي ، أشرف الدين صاعد ، (١٩٧٠) ، الحدود والحقائق (رسائل الشريف المرتضى) ، في شرح الألفاظ المصطلحة بين المتكلمين من الإمامية ، الجزء الثاني .
- أرمينكو ، فرانسواز ، (١٩٨٧) ، المقاربة التداولية ، ترجمة : د. سعيد علوش ، مركز الأنماء القومي ، الرباط ، المغرب .
- الألوسي ، العلاّمة أبو الفضل شهاب الدين محمود البغدادي ، (٢٠٠٩) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ضبطه وصححه : علي عبد الباري عطية ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الجزء السادس ، والجزء الأثنا عشر ، ط٣
- برينكر ، كلاوس ، (٢٠١٠) ، التحليل اللغوي للنص ، ترجمة : سعيد حسين بحيري ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط٢ .
- بوجادي ، د.خليفة ، (٢٠٠٩) ، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع العلمية .
- تغزاوي ، يوسف ، (٢٠١٤) ، الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد – شارع الجامعة ، ط١ .
- الحاج ، ذهبية حمو ، (٢٠١٢) ، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ، ، دار الأمل / تيزي وزد ، ط٢ .
- الحسناوي ، فضاء ذياب غليم ، (٢٠١٦) ، الأبعاد التداولية عند الأصوليين ، ، الناشر : فريق مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، ط١ .
- الحنبلي ، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار (ت٩٧٢هـ) ، (١٩٩٧) ، مختصر التحرير ، شرح الكوكب المنير، المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد ، الناشر : مكتبة العبيكان ، ط٢ .
- الساسي ، عمار ، (٢٠٠٧) ، اللسان العربي وقضايا العصر ، رؤية علمية في فهم المناهج ، الخصائص ، التعليم ، عالم الكتب الحديث ، الأردن .
- شيتر ، رحيمة ، (٢٠٠٨-٢٠٠٩) ، تداولية النص الشعري ، جمهرة أشعار العرب أنموذجاً ، ، أطروحة دكتوراه ، إشراف : عبد القادر دامخي ، جامعة الحاج لخضر باتنة .
- صحراوي ، د.مسعود ، (٢٠١٤) ، التداولية عند العلماء العرب ، دار الطليعة ، بيروت ، القاهرة ، ط١.
- الصراف ، علي محمود ، (٢٠١٠) ، في البراغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة ، دراسة معجمة ومعجم سياقي ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، ط١ .
- الطلحي ، ردة الله ضيف الله ، (١٢٢٤هـ) ، دلالية السياق ، جامعة أم القرى ، ط١ .
- عبد الرحمن ، طه ، (٢٠٠٠) ، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط٢ .

- علي عزت ، (٢٠١٢) ، الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب ، ، طباعة : شركة أبي الهول للنشر .
- العياشي ، أدراوي ، (١٤٣٢هـ-٢٠١١) ، الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، ، منشورات الاختلاف ، ط١ .
- فان دايك ، (٢٠١٣) ، النص والسياق ، استقصاء البحث في السياق الدلالي والتداولي ، ترجمة:عبد القادر قنتني ، المغرب ، افريقيا ، (د.ط) .
- كنون ، د. أحمد ، (١٤٣٦هـ-٢٠١٥) ، التداولية بين النظرية والتطبيق ، دار النابغة للنشر والتوزيع ، ط١ .
- لاشين ، عبد الفتاح ، (٢٠١٢) ، من أسرار التعبير في القرآن الكريم ، صفاء الكلمة ،دار الفكر العربي ، (د.ط) .
- مغنية ، محمد جواد ، (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧) ، التفسير الكاشف ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ، الجزء الرابع ، المطبعة : مطبعة ستار ، ط٤ .
- نحلة ، د.محمود أحمد ، (٢٠٠٢) ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ، دار المعرفية الجامعية .
- يول ، جورج ، التداولية ، (١٤٣١هـ-٢٠١٠) ، ترجمة : د.قصي العتابي ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، دار الأمان ، الرباط ، ط١ .